شذرات تاريخية من صحائف منسية

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

وصف جناب المحامي الاديب جرجي بك صفا في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٤٤٢-٤٤٥) بين مخطوطات مكتبته تاريخاً قديماً يرتقي عهدهُ الى زمن مؤلفهِ في اواخر القرن الثالث عشر للمسيح او اوائل الرابع عشر والمرجح انهُ من خطهِ وعليهِ كتابةٌ تشهد على انَّ الملك الظاهر بيبرس ابن ايبك طالع فيهِ. وقد نشر جناب البك بعض قطع منهُ . على انَّ هذا الكتاب كثير الفوائد التاريخيَّة التي لم نجد بعضها في غيرهِ فأحببنا ان نقتطف منهُ ما رأيناهُ جديراً بالاعتبار مما ورد هناك بين سنتي الاولى ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) والآخرة ٦٩٨ هـ ١٢٩٩ م). والكتاب اليوم في يد الوجيه الفاضل احمد باشا تيمور نشير الى صفحاتهِ بالارقام الفرنجيَّة . . . حكي

السنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م (٤١) قال: في غرَّة المحرَّم جلس محيي الدين ابو عبدالله بن فضلان في ديوان الوالي واستوفى الجزية من اهل الذمَّة فكان احدهم يقف بين يديه الى ان توزن جزيتهُ ويُكتب لهُ رَوْز وهو صاغر . فلقوا من ذلك شدَّة وكان ابو علي بن المسيحي رئيس الطب لهُ اختصاص ودخول الى دار الخليفة فأظهر المرض واعتذر وسأل ان تؤخذ جزيتهُ من يد ولدهِ فلم يُقبَل منهُ فحضر وادَّاها . ومضى ابن الشريح رأس مشيخة اليهود الى دارهِ ليلاً وسألهُ ان يأخذ الجزية منهُ فلم يلتفت اليهِ وقال (٤٢) لهُ: لا بُدَّ ان تحضر نهاراً الى الديوان وتؤديها . وشدَّد في ذلك ولم يسامح احداً

السنة ٦٣١ هـ = ١٢٣٣ م (٤٣) وفيها توفي ابو عبدالله محمَّد بن يحيى بن فضلان . حُكيَ عنهُ ١) انَّهُ كتب الى الخليفة الناصر لدين الله لمَّا كان يتولَّى ديوان الموالي وقعةً طويلة يقول فيها : « مذهب الشافعي رضي الله عنهُ يقضي انَّ المأخوذ من اهل الذمَّة اعني اليهود والنصارى في كل سنة أُجرةٌ عن سكناهم في دار السلم والارتفاق بمرافقها لا يتقدَّر في الشرع بمقدار مُعيَّن في طرف الزيادة ويتقدَّر

١) تروى هذا بحرفهِ ليرى القرَّاء كيف كان يُعامَل الذميُّون وما أُفتي فيهم ابن فضلان مع ما يُشتمّ من كلامهِ من التعصُّب. على انَّ وصفهُ لاحوال النصارى يفيد كثيراً لمعرفة ترقّيهم وتنوّرهم مع ما كان يصيبهم من سوء المعاملة

في طرف النقصان بدينار فلا يؤخذ من احد منهم على الاطلاق اقل من دينار . ويجوز ان يؤخذ ما يزيد على الدينار الى المائة حسب امتداد اليد عليهم مهما أمكن . فان رأى أن يتضاعف على كل شخص منهم ما يؤخذ منه فللآراء الشريفة عاوّدها في ذلك . وهذا لا يبقى عليهم لا في أحوالهم ولا في ذات ايديهم لان الغالب على الجميع التخفيف في القدر المأخوذ منهم وهم ضروب واقسام منهم من هو في خدمات الديوان وله المعيشة السنية (٢٤) غير تركة يده الممتدة الى اموال السلطان والرعية من الرشا والبراطيل . ولعل الواحد منهم ينفق في يومه القدر المأخوذ منه في السنة هذا مع ما لهم من الحرمة الزائدة والجاه القاطع والترقي على رقاب خواص المسلمين . وقد شاهد العبد (١) وغيره من الفقهاء الحاضرين بالمخزن لتناول البر المتقبل ان ابن حاجب قيصر (٢ اقام ابن محرز الفقيه من طرف موضع كان به واقعد مكانه ابن زطينا كاتب المخزن لمكان خدمته . وقد رُوي عن علي عليه السلام انه قال : « أمرنا ان لا نساويهم في المجلس ولا نشيع جنازتهم ولا نعود مرضاهم ولا نبدأهم بسلام » . وقد كان ابن مهدي استفتى العبد (١ وغيره في تولية ابن ساوي النظر بواسط فقال له العبد : لا يجوز ذلك . وذكر له قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ابي موسى الاشعري وذلك انه عرض عليه حسبة عمل من الاعمال فاعجبته فقال : من كاتبُ هذه؟ . وكان عمر جالساً في المسجد . فقال له ابو موسى : رجل بباب المسجد . فقال عمر : ما باله لا يدخل المسجد أجُنُبٌ هو ؟ قال : انما هو نصراني . فغضب عمر وقال : « أتقرّبونهم وقد أبعدهم الله وتأتمنونهم وقد خوّنهم الله وترفعونهم وقد وضعهم الله لا يعمل لي هذا عملاً في بلد من بلاد الاسلام »

« ثم ليس لهم في بلد من الحرمة والجاه والمكانة ما لهم في مدينة السلام فلو تضاعف المأخوذ منهم مهما تضاعف كان لهم الربح الكثير

« ومنهم اصحاب المكاسب الجزيلة بتردّدهم الى منازل الاعيان وارباب الاحوال ودخولهم على المتوجهين في الدولة والناس ويتحفّون فيما يعطون الطبيب زائداً

١) يريد ابن فضلان بالعبد نفسهُ

٢) كان من عمّال النصارى كابن زطينا وابن ساوي الوارد ذكرها

(٣٤) على القدر المستحقّ وهو امر من قِبَل المروآت فلا يتمكّنون عن الخلع السنية والدنانير الكثيرة والطُّرَف في المواسم والفصول . مما يخطئون في المعالجات ويُفسدون الامزجة والابدان . ويخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشرة مسائل من مسائل حُنَين وخمس قوائم من تذكرة الكحّالين وقد تقمّص وليس العمامة الكبيرة وجلس في مقاعد الاسواق والشوارع على دكّة حتى يُعرَف وبين يديه المكنّة والملحدان (١ يؤذي هذا في بدنه ويجرّب على ذا في عينه فينتك من اول النهار الى آخره ويمضي آخر النهار الى منزله ومكنّته مملوءة قراضة . فاذا عُرف بقعوده على الدكّة وصار له الزّبون قام يدور ويدخل الدور

* ومنهم أربابُ المعايش من العطارين والمخلطين والكسّارين اصحاب المكاسب الظاهرة والارتفاقات الكثيرة باموال التجار المسلمين واخذهم من الحُجر بالمدّة وما يقفوا (يقفّون) في ميزان الذهب وميزان الارطال وما يغشّون في الحوانيج ويدغلون

* ومنهم اصحاب الحرف والصناعات من الدباغة وغيرهم وما يتقلّبون فيه من الذهب والفضة ويسرقون الذهب ويجعلون عوضهُ المسّ (٢ ويعدلونهُ ويسرقون الفضّة ويجعلون عوض ذلك في المواضع المستورة بحسب احتمالهانارةً قارًا وغير ذلك

* ومنهم الجهابذة وما يسرقون في القبض والتقبيض . ومنهم الصيارف واحتجاجهم ببضاعة دار الضرب مع ما لهم من التبسُّط في السُّلطان واولاد المسلمين وبذل جزيل المال في تحصيل اغراضهم في الفساد ورفاهية العيش والتلذّذ في المآكل والمشارب . ثم ما زالوا على اختلاف الزمان يؤخذون بالصَّغار ولبس النيار (٣٤) الذي اوجبهُ الشرع عليهم (٣

* وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الامصار ان يحملوا اهل الذمّة على جزّ نواصيهم وان يختموا اعناقهم بخواتيم من رصاص او حديد وان يركبوا على الأكف عَرْضاً وان يشدّوا الزنانير على اوساطهم ليتميّزوا بذلك عن المسلمين . وعلى ذلك جرى الامر في زمن الخلفاء الراشدين : وآخر من شدد عليهم المقتدي بامر الله

---

١) المكنّة كيس يُجمع فيه اجرة العمل اذ الملحدان فاعلهُ يريد بهما مساعديه
٢) المسّ هو النحاس ٣) النيار لبس اهل الذمّة

المستنصر . . . وكان يتردد الى دار الوزير يشغل ولده عز الدين في الادب وصنف كتاب مجمع البحرين في اللغة : وكتاب العباب الزاخر ودر اللباب الفاخر فانتهى منه الى فصل الباء في باب الميم وكتب بخطه « بكم » ولم يتمه وتوفي فجأة

﴿ السنة ٦٥١ هـ = ١٢٥٣م ﴾ وفيها اعطى رجل سائلا في بعض اسواق بغداد دينارا فقال السائل : اني اعرف هذا الدينار وانه فقد مني في جملة دنانير . فسأله الرجل عن علامة ما فقد منه فذكرها فقال : اني وجدت هذا منذ سنة وما زال عندي الى الآن ولم اجد احدا يذكره فاخرجته لأتصدق به عن صاحبه وهذا اول دينار اخرجت . ثم سلم الذهب الى السائل فاغناه عن السؤال . وقد ذكر ابن الحافظ النجار في تاريخه : ان رجلا ضاع منه دملج ذهب وزنه خمسون دينارا ومضى عليه دهر طويل وافتقر الرجل وصار يبيع الزجاج في سلة على راسه فعثر يوما فسقط الزجاج وتكسر فبكى واجتمع الناس عليه فقال : والله لقد ضاع مني مرة دملج ذهب وزنه خمسون مثقالا فلم احزن عليه كحزني لهذه السلة . فقال له رجل ممن اجتمع عليه : انا وجدته ولكني اخرجته . واعطاه خمسين مثقالا ذهبا

﴿ السنة ٦٥٢ هـ = ١٢٥٤ ﴾ (99) في هذه السنة جرت بين اصحاب الشيخ عدي بن مسافر واصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل محاربة كان سببها ان بدر الدين كان كثير التثقيل على اولاد الشيخ عدي ويكلفهم مالا على وجه المساعدة . فأطاعوا السنتهم فيه فارسل طائفة من عسكره اليهم فقاتلهم قتالا شديدا فانهزمت الاكراد البدوية وقتل منهم جماعة كثيرة واسروا منهم جماعة فضرب بدر الدين منهم مائة وذبح مائة وامر بتقطيع اعضاء اميرهم وتعليقها على ابواب الموصل وارسل من نبش الشيخ عديا من ضريحه واحرق عظامه

﴿ السنة ٦٥٣ هـ = ١٢٥٥ م ﴾ (108) وفيها توفي ابو الفضل بن ابي الخير ابن المسيحي الجاثليق ببغداد وولي بعده مكيخا النصيبي وكان اديبا فاضلا

﴿ السنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م ﴾ (119) وهي سنة دخول المغول الى بغداد . قال : وضع السيف في اهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر وما زالوا في قتل ونهب واسر وتعذيب الناس بانواع العذاب واستخراج الاموال بأليم العقاب مدة اربعين يوما فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال فلم يبق من اهل البلد ومن التجى

اليهم من اهل السواد الاّ القليل ما عدا النصارى فانّهم عُيّن لهم شحانيّ حرسوا بيوتهم والتجأ اليهم خلقٌ كثير من المسلمين فسلموا عندهم ... وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاورهُ واستولى الخراب على البلد وكانت القتلى في الدروب والاسواق كالتلال ....

(119) عزّ الدين ابن ابي الحديد كاتب السلّه (السكّة ؟) لم تطل ايّامهُ وتوفّي فرُتّب عوضهُ ابن الحنّال النصرانيّ

(120) وفيها تُقدّم للجاثليق (مكيخا) بسكنى دار علاء الدين الطبري الدويدار الكبير التي على شاطئ دجلة فسكنها ودقّ الناقوس على اعلاها واستولى على دار الفلك التي كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار المذكورة وعلى الرباط البشيري المجاور لها وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسرياني

﴿ السنة ٦٥٩ هـ = ١٢٦٠ م ﴾ (121) انفذ الملك الظاهر سنجر مملوك ابيهِ وعيّن لهُ جماعة من العسكر فسار بهم الى الموصل ... فلمّا بلغها مُنع عن دخولها ايّاماً فوثب محيي الدين ابن دبلاو (كذا؟) في طائفة من العوام وفتحوا لهُ باب الجسر فدخل منهُ ووضع السيف في النصارى فقتل اكثرهم ونهب اموالهم . وبلغهُ انّ عسكر المغول واصل اليهِ فخرج ومعهُ الف فارس وسار نحو نصيبين فالتقى بهِ عسكر المغول فقتلوهُ وقتلوا اكثر من معهُ . فلمّا بلغ السلطان هولاكوقان ذلك سيّر الامير سنداغوا الى الموصل

﴿ السنة ٦٦٠ هـ = ١٢٦١ م ﴾ (122) نزل سنداغوا على الموصل وحصرها ... حتّى فتحها ..... ولما فرغ سنداغوا من فتح الموصل سار الى جزيرة ابن عمر ففتحها بأمان وقتل حاكمها واستعمل عليها رجلاً نصرانيّاً اسمهُ مَرْحنيا ثمّ عاد الى السلطان

﴿ السنة ٦٦٣ هـ = ١٢٦٤ م ﴾ (123) فيها عُين رضي الدين المعروف بالبابا والياً بالموصل فدخلها وقبض الزكيّ الاربلي الذي كان واليها وطالبهُ بالبقايا التي ساقها الحساب عليهِ واستوفى منهُ معظمها ثمّ قتلهُ

(124) وفيها قبض مَرْمكيخا الجاثليق على نصرانيّ من اهل بغداد قد أسلم فاعتقلهُ بدارهِ المعروفة بالدويدار الكبير على شاطئ دجلة وعزم على تغريقهِ .

فبلغ العوام ذلك فاجتمعوا على سوق العطارين برأس درب دينار وغيره من محال النصارى وحصروا الجاثليق واحرقوا باب داره (126²) وقاتلوا اصحابه. فنزل في سفينة وقصد دار صاحب الديوان علاء الدين واستجار به فامر الكلحية بكف العوام وركب سوكال بجيش شحنة بغداد واخذ نفرًا من العوام وقتل منهم وحبس جماعة فسكنت الفتنة. ثم ان الجاثليق توجه الى الاردو الاشرف وعاد على اربل وبنى بقلعتها بيعة ثم قدم بغداد واقام بها الى ان مات (سنة ٦٨٣هـ=١٢٨٤م) ورتب في منصبه مار دنحا الاربلي

﴿السنة ٦٦٤هـ=١٢٦٥م﴾ (126²) فيها سار الملك الظاهر المعروف بالبندقدار الى بلاد الارمن واوقع باهلها ونهبهم واستباح اموالهم واكثر القتل والاسر فيهم خصوصاً اهل سيس واسر ابناً ليون (1 صغيرا وكان سبب ذلك ان ليون راسل البندقدار الملك مصر وهادنه على خراج مقرر يحمله اليه فحطه به هذه السنة. فلما عاد البندقدار اجتاز بانطاكية وحصرها وفتحها عنوة وقتل اهلها ونهب اموالهم وعاد الى بلاده. فارسل ليون الى البندقدار يسأله فداء ابنه فاجابه الى ذلك وقال: ان لنا اسيرًا بيد المغول يُعرف بسنقر الاشقر خلصه وأرسله الينا لنطلق ابنك. فسار الى عبودية السلطان اياقا وانهى ذلك اليه وسأله اطلاق سنقر فامر بتسليمه اليه فسيّره الى البندقدار فاطلق ابنه. ثم ان ليون ارسل ابناً له كبيرًا الى السلطان اياقا وذكر انه عجز عن الحركة وسأله ان يملك ابنه المذكور. فاجاب سؤاله واعاده اليه فاستقل بملك ابيه

﴿السنة ٦٦٥هـ=١٢٦٦م﴾ (127¹ — 127³) امر الصاحب علاء الدين صاحب الديوان بقتل ابن الحشكري النعماني الشاعر وسبب ذلك انه بلغه عنه انه يقول اشياء تاني الشرع ويفضل شعره على القرآن المجيد ويقدم على ما لا يجوز ذكره. فعظم ذلك عليه. واتفق انحداره الى واسط فلما وصل النعمانية حضر ابن الحشكري عنده وانشده قصيدة يمدحه فيها فأذن الاذن فنصت الصاحب اليه فقال ابن الحشكري: يا مولانا اسمع شيئاً جديداً واعرض عن شيء له سنين. فثبت حينئذٍ عنده ما قيل

---

1) هكذا ورد هذا الاسم يريد « ليون » بن هيثوم ملك الارمن

عنهُ ..... فلمَّا ركب من الغد امر ابن سليط الاسدي ان ينفرد بهِ ويقتلهُ ... فقتلهُ واخذ فرسهُ وثيابهُ . (١٢٧) وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال شيخ رباط المرزبانيَّة . كان شيخاً صالحاً ورعاً زاهداً. حكى عن نفسهِ قال: كنت بمصر واتَّصل بي ما جرى ببغداد في الواقعة (اي واقعة المغول) من القتل والنهب والفتك والاسر فأنكرتهُ بقلبي وقلت: يا ربِّ كيف هذا وفيهم الاطفال ومن لا ذنب لهُ ؟ فرأيت تلك الليلة في المنام رجلاً في يده كتاب فاخذتهُ منهُ فاذا فيهِ:

دع الاعتراض فما الامر لكْ ولا الحكمُ في حركات الفلكْ
ولا تسأل الله عن فعلهِ فمن خاض لجَّة بحرٍ هلكْ

فاستغفرتُ الله تعالى وامسكتُ

﴿ السنة ٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م ﴾ (١٢٧) وفيها وُلِّي على الموصل رجل نصرانيّ اسمهُ مسعود وهو من قرى اربل اسمها برقوطا وعزل عنها البابا ورتَّب معهُ شحنة من المغول اسمهُ اشموط

﴿ السنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م ﴾ (١٣٢) ذكروا لعلاء الدين صاحب الديوان انَّ بها (اي تستر) رجلاً يدَّعي النبوَّة وقد اتَّفق معهُ جماعة وقد نقَّص لهم من الفروض (١٣٢) صلاة العصر وعشاء الآخر . فامر باحضارهِ وسألهُ عن هذه الحال فرآه ذكيًّا عارفاً ببعض العلوم فامر بقتلهِ فقُتل وسُلِّم الى العوام واخذ اكثر من كان قد اتَّبعهُ . وهذا كان صبيًّا من ابناء التجار اسمهُ كيّ اشتغل بحفظ القرآن والفقه والاشارات والنجوم وكان ينظم شعرًا بالفارسيَّة فادَّعى انهُ عيسى بن مريم وقال: «ان بلغتُ من العمر ثلاثاً وثلثين سنة تمَّ امري» ونظم شعرًا يتضمَّن ذلك فقُتل ولم يبلغ ما ذكرهُ من العمر

﴿ السنة ٦٧٥ هـ = ١٢٧٦ ﴾ (١٣٧) في هذه السنة سار الملك الظاهر البندقدار بعساكرهِ الى بلاد الروم وغرضهُ قتل البروانه (حاجب التتر) فلمَّا عرف بسيرهِ تحصَّن ببعض القلاع التي على ساحل البحر وخرج المغول الى لقاء البندقدار .. وقاتلوهُ فاستظهر عليهم ... ولمَّا عزم على العود (من قيساريَّة) نهب النصارى واخذ اموالهم وسبى ذراريهم ولم يقتل منهم احداً ثمَّ رحل عائداً الى بلادهِ واستصحب امَّ البروانه واولادهُ وحرمهُ .... (١٣٧) .. سنة ٦٧٦ (فيها روايات عن موتهِ مشؤومًا)

﴿ السنة ٦٧٦ هـ = ١٢٧٧ م ﴾ (١٣٩) وفيها أنهى مسعود البرقوطي والي الموصل واشموط الشحنة بها الى السلطان اباقا خان انهما ظلما في المحاسبة على ضمان الموصل فامر بتحقيق ذلك. فلما عملوا حسابهما اثبتوا انّ البابا كان على الباطل مما اعتمده معهما وامر بقتله فقتل وولّاهما الموصل واربل فعادا برأسه وطافا به وعلّق على باب الجسر

﴿ السنة ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م ﴾ (١٥٠ — ١٥١) روى فيها خبر الشيخ عبد الرحمان النصّاب وتأثيره في إسلام السلطان احمد خلف اباقا سلطان المغول (سنة ٦٨٢) ثم حرب السلطان احمد والسلطان ارغون وقتل احمد سنة (٦٨٣ هـ ١٥٢)

وفي السنة ٦٨٢ توفي عماد الدين زكريّا بن محمود القزويني قاضي واسط بها وحُمل الى بغداد ودُفن في الشونيزي وكان عالماً فاضلا صنّف كتاباً سمّاه عجائب المخلوقات وكان يكتب خطّاً جيدا تولى القضاء بالحلّة في سنة خمسين (وستمائة) ثم نُقل الى القضاء بواسط سنة ٦٥٢ واضيف اليه التدريس بمدرسة الشرابي فلم يزل على ذلك الى ان مات وكان حسن السيرة عفيفاً

﴿ السنة ٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م ﴾ (١٥٣) وفيها اشتهر ببغداد عزّ الدولة ابن كمونة اليهودي صنّف كتاباً سمّاه الابحاث عن الملل الثلاث تعرّض فيه بذكر النبوات وقال ما نعوذ الله من ذكره. فثار العوام وهاجوا واجتمعوا لكبس داره وقتله فركب الامير تمسكاي شحنة العراق ومجد الدين ابن الاثير وجماعة الحكام الى المدرسة المستنصريّة واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين لتحقيق هذه الحال. وطلبوا ابن كمونة فاختفى. واتفق ذلك اليوم يوم جمعة فركب قاضي القضاة للصلاة فمنعهُ العوام فعاد الى المستنصريّة فخرج ابن الاثير ليسكّن العوام فأسمعوهُ اقبح الكلام ونسبوهُ الى التعصّب لابن كمونة والذبّ عنهُ. فامر الشحنة بالنداء في بغداد بالباكرة في غد الى ظاهر السور لاحراق ابن كمونة فسكن العوام ولم يتجدّد بعد ذلك لهُ ذكر. واما ابن كمونة فانهُ وُضع في صندوق مجلد وحُمل الى الحلّة وكان ولدهُ كاتباً فاقام اياماً وتوفي هناك

﴿ السنة ٦٨٤ هـ = ١٢٨٥ م ﴾ (١٥٤) وفيها اغارت طائفة من عسكر الشام على ديار بكر والموصل واربل وقتلوا ونهبوا وسبوا واخذوا اموال التجار من قيسارية الموصل وقتلوا كثيراً من النصارى في اربل. ونهب الاكراد بلد البرازيج وباصيدى

وقتلوا جماعة من (156) النصارى ونهبوا الاموال

﴿ السنة ٦٨٨ هـ = ١٢٨٩ م ﴾ وفيها توفيّ صفي الدولة سليمن بن الحمل النصرانيّ كاتب السلة (السكة) ببغداد

﴿السنة ٦٩٠هـ=١٢٩١م﴾(161)روى فيها مصادرة اليهود وقتلهم ونهبهم في بغداد وفي كل بلاد العراق . . وذكر من اعيانهم سعد الدولة وفخر الدولة الاخوين. ثم امين الدولة اخاهما الحاكم على الموصل

(163 — 166) وفيها فتح الملك الاشرف صاحب مصر والشام لمدينة عكّة . . . قاتل من بها اربعين يوماً (برّاً وبحراً) حتّى فتحها عنوةً وقتل في اهلها قتلاً عظيماً وسبى ذراريهم ونهب اموالهم ثمّ امر بهدمها فهُدمت حتّى عفّى آثارها والحقها بالارض ثمّ عاد الى دمشق فاقام بها شهرًا . . . (قصيدة لبعضهم في نحو ٥٠ بيتاً اوّلها :

الحمد لله ذلّت دولة الصُّلُبِ وعزّ بالترك دين المصطفى العربي)

ثمّ ان الاشرف سيّر قائدًا يُعرف بالشجاعي في عشرين الف فارس الى صيداء وصور فنازل صيداء وفتحها وقتل من بها واخربها . ثمّ رحل الى صور فتلقّاهُ اهلها بالطاعة فدخلها واغلق ابوابها ووضع السيف فيهم وقتل الرجال وسبى الذراري واخربها وعاد الى الاشرف وهو بدمشق ولم يبقَ للفرنج في ساحل البحر حجر على حجر ثمّ عاد الاشرف الى مصر

﴿ السنة ٦٩٣ هـ = ١٢٩٤ م ﴾ (167) وفيها توفي شمس الدولة ابن مخلد النصرانيّ كاتب السلة (السكة) ببغداد . وفيها في الوباء ايضاً مات ابو منصور الطبيب النصراني المعروف بكتيفات وكان حاذقاً في علم الطب محمود العلاج وكأن الشاعر عناهُ بقوله :

كأنهُ من لطف افكارهِ يجول بين الدمّ واللحمِ
ان غضبت روح على جسمها ألفّ بين الروح والجسمِ

﴿السنة ٦٩٤ هـ = ١٢٩٥ م ﴾ (168) جلس السلطان غازان (ويروى غازان) على التخت في ذي الحجّة ودخل تبريز وصلّى في جامعها وامر بالزام اهل الذمّة الغيار فكانت علامة النصارى شدّ الزنّار في اوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمائمهم

فداموا على ذلك شهوراً ثمَّ أُزيل بمجرَّد تسلُّط العوامّ عليهم وطمع الجهَّال فيهم . وتقدم السلطان باخذ دار علاء الدين الطبرسي (sic) الدويدار الكبير من النصارى فانها كانت بايديهم من حيث مُلكت ببغداد وأُزيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانيَّة واستُعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك وكان قد جعلهُ النصارى مدفناً لاكابرهم فأُزيلت القبور منهُ وصار محلًّا للوعظ

النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل التاسع

التعاليم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة بين نصارى الجاهليَّة

اثبتنا في مقدَّمة ابحاثنا عن النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة انَّ العرب كانوا مشركين كبقيَّة الامم ما خلا الشعب الاسرائيليّ وانَّهم عبدوا الاصنام قبل التاريخ المسيحي وفي القرون الاولى بعدهُ وان اختلف شركهم بعض الاختلاف في جنوب جزيرتهم وشمالها وغربها

امَّا الآثار المتأخرة الباقية من القرن السادس واوائل السابع المسيح فعلى خلاف ذلك فانَّها الى التوحيد اقربُ منها الى الشرك بل لا تكاد تجد في الشعر الجاهليّ المجموع في ذلك العهد اثرًا للشرك اللهمَّ الَّا بقايا قليلة لا يُعبأ بها

وعندنا انَّ هذا الانقلاب انَّما كان سببهُ شيوع النصرانيَّة في ظهراني العرب كما بيَّنَّا ذلك بالشواهد المتعدِّدة في القسم الاوَّل من كتابنا . واذا تقصَّينا البحث في ما